

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظ القرآن الكريم

(أهميته - أساليبه - نماذج من الحفظ المتقن من الخلف والسلف)

للشيخ عادل أبو شعر

القسم الأول:

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا

لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾

[آل عمران: 79]

فضل تعلم القرآن:

روى الإمام مسلم عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة فقال: "أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق ويأتي بناقتين كوماوين - أي عظيمتي السنام - من غير إثم ولا قطيعة رحم"؟ أي: من طريق سهل حلال. قلنا: يا رسول الله كلنا يحب ذلك. فقال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله تعالى فهو خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل¹.

القرآن لو لم تحفظه داوم على قراءته فلا بد أن يؤثر في القلب والجوارح، ذكروا أن رجلاً كبيراً في السن دائم التلاوة لكتاب الله، وكان حفيده الصغير ينظر إليه ويتعجب من كثرة تلاوته، فيقول له: جدّي ما ذا تستفيد من كثرة تلاوتك للقرآن؟

فقال له جدّه: حفيدي الصغير، خذ السلة التي نملؤها بالفحم، واذهب إلى الغدير واملأها ماءً ثم ارجع إليّ، أخذها الصغير وذهب إلى نبع الماء وملأها بالماء، لكنه وجد أن الماء يتسرّب من ثقب السلة حتى إذا رجع إلى جدّه لم يبق ماء فيها، فنظر جدّه وقال له: أين الماء الذي أمرتك أن تحضره؟ اذهب ثانية واملأها بالماء، فذهب الصغير وتحمل هذه المشقة ثانية، وهكذا فعل ثلاثة ورابعة وخامسة، وفي كلّ مرة كان الماء يتسرّب، قرّر الصغير أن يأخذ جدّه إلى نبع الماء ليريه الأمر، فقال له

¹ أخرجه مسلم برقم 1336.

جدّه: حفيدي الصغير ، أنا أعلم أنك لن تستطيع أن تجلب ماء في هذه السلة لكن ألا ترى شيئاً غريباً حدث للسلة، قال: نعم يا جدي ، لقد ذهب عنها آثار سواد الفحم الذي علق بها، فقال له جدّه: وهكذا القرآن ينظف قلب الإنسان وينعكس نوره على جوارحه، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]

روى البيهقي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن"².

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة"³.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله: أي الأعمال أحبّ إلى الله تعالى؟ قال: "الذي يضرب . أي: يبدأ . من أول القرآن إلى آخره كلّما حلّ ارتحل"⁴.

روى الحاكم وصحّحه والدارمي، عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن هذا القرآن مآدبة الله تعالى فاقبلوا مآدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن جبل الله والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، ولا يزيغ فيستعجب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الردّ، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كلّ حرف عشر حسنات، إني لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف"⁵.

ما قبل الحفظ: قراءة القرآن بالكيفية المتلقاة من فم النبي صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَسَلَقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: 6]

وقال: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]

وقال: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: 121]

وقال لنبية صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩]

وقال لنبية صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩]

وقال لنبية صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩]

² (كنز العمال 2264.

³ (أخرجه البخارى (رقم 4653) ، ومسلم (رقم 798)

⁴ (أخرجه الترمذى.

⁵ (أخرجه الحاكم وصححه الدارمى.

هي مرحلة تجويد القرآن وضبطه، وهي أهم من الحفظ، ولو كان الأستاذ يعلم طلابه النطق الصحيح قبل حثهم على الحفظ لكان أولى، وكانت طريقة السلف تلقين القرآن من أوله إلى آخره قبل البدء بحفظه.

ومن التراجم التي تدلّ على ذلك محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق أبو منصور البغدادي الزاهد المعروف بالخياط مؤلف كتاب المهذب في القراءات أستاذ كبير ثقة شهير، ولد سنة إحدى وأربعمائة قال ابن النجار بلغ عدد من أقرأهم أبو منصور القرآن سبعين ألفاً توفي يوم الأربعاء سادس عشر المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة وله تسع وتسعون سنة، قال أبو منصور بن خيرون ما رأيت كيوم صلي على أبي منصور الخياط من كثرة الخلق والتبرك بالجنابة، قال السلفي قال علي بن الأيسر وكان رجلاً صالحاً حضرت جنازة أبي منصور فلم أر أكثر خلقاً منها فاستقبلنا يهودي فرأى كثرة الزحام فقال أشهد أن هذا الدين هو الحق وأسلم، وقال السمعاني رأوه بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي بتعليمي الصبيان فاتحة الكتاب.

وإلى مقربة منا أيضاً الجامع الأمويّ درّس فيه أكابر القراء كابن الجزريّ الذي كان يقرئ القرآن تحت قبة النسر، وكانوا يلقنون القرآن للناس، ذكر ابن الجزريّ: فهذه دمشق أخبرني الشيخ الصالح إبراهيم الصوفي الملقن بالجامع الأموي أن الذين قرؤوا عليه القرآن نيف عن عشرين ألفاً.

الحفظ ووسائله وطرقه:

حفظ القرآن الكريم : هو استكمال استظهاره غيباً، ومعاودة المحفوظ، وعدم النسيان. فلا يُطلق حافظ القرآن إلا على من أتمّ الحفظ، ومن نسي القرآن لا يسمّى حافظاً.

الحفظ : قال ابن فارس: الحاء والفاء والظاء أصلٌ واحد، يدلّ على مراعاة الشيء.

تعريف الراغب الأصفهانيّ للحفظ، قال: "الحفظُ يقال تارة لهيئة النفس التي بها يثبت ما يؤدّي إليه الفهم، وتارة لضبط في النفس ويضادّه النسيان، وتارة لاستعمال تلك القوة، ثم يستعمل في كلّ تفقد وتعهد ورعاية".

تعريف الراغب للنسيان: "النسيان : ترك الإنسان ضبط ما استودع، إما لضعف قلبه، وإما عن غفلة، وإما عن قصدٍ، حتى ينحذف عن القلب ذكره" كأمين المستودع.

والنسيان: إما أن يكون طبيعياً بسبب تقدّم السنّ، وإما بترك تعاهد المحفوظ، أو بسبب مرضيّ داخليّ كالهّم أو خارجيّ بسبب ضربة أو تعرّض لحادث.

الحافظ الماهر والحافظ المتماهر والفرق بينهما:

قال ابن المنادي: "فآية الحافظ الماهر:

1 . جودة إتقانه.

2 . ورجوعه عن خطئه في سرعة.

فهذا دليله عند غيره.

أما دليله عند نفسه، ففطنته بخطئه، وهو على ذلك بين أمرين:

1. إما أن يرجع إلى ما أخطأ فيه فيتلوه على صواب.

2 وإما أن يعييه مطلبه فيجوزه إلى غيره مما يليه من سورتته أو آيته إن كان بما طول،

وهو مع ذلك على يقين أنه قد أخطأ الاستقامة، ثم يعود إليه من قريب، فيتلوه مصيباً.

وأما آية الحافظ المتماهر: الذي يكاد أن يكون ماهراً وليس به، فهو أن يجوز خطأه ولا يتطوله،

ولا يتشكك فيراجع ما شك فيه بغير صواب، فهذه علامته عند غيره وتلك علامته عند نفسه]

بمعنى أن الحافظ غير الماهر لا يتفطن لخطئه، فلا يراجع ما أخطأ فيه ليصوبه].

قال: ومن كان بعد هذين الوصفين فليسوا بحفاظ، بل يسمون متحفظين، والمبتدئ منهم يسمي

متلقناً" اهـ.

وسائل الحفظ:

وسائل تتعلق بشخص الحافظ.

وسائل مساعدة على عملية الحفظ.

وسائل تثبيت الحفظ وإحكام المحفوظ.

أولاً: الوسائل المتعلقة بشخص الحافظ:

الإخلاص:

قال ابن عباس: "إنما يحفظ الرجل على قدر نيته"، قال ابن المبارك: أول العلم النية.

الاستعداد الشخصي والدافع الذاتي:

الرغبة والتطلع والاهتمام توجد التركيز كما أثبتت الدراسات التربوية الحديثة، ومنه حفظ أسماء

الأشخاص وأرقام هواتفهم، وتاريخ وفاة العلماء .

العمر المناسب:

المبادرة إلى حفظ القرآن في سن مبكرة، قال بقراط الحكيم: "الحفظ في الشباب؛ لأن الشيخوخة

بيت النسيان". قال الإمام ابن الجوزي في صيد الخاطر: ينبغي أن يحمل الصبي من حين أن يبلغ

خمس سنين على التشاغل بالقرآن والفقہ وسماع الحديث... وأول ما ينبغي أن يكلف حفظ القرآن متقناً، فإنه يثبت ويختلط باللحم والدم..."

سلامة البدن وقوة الذاكرة:

الذاكرة تنطوي على ثلاثة عناصر: التمثّل للمعلومة بمعنى إدراكها، والاحتفاظ بها، واسترجاعها. التركيز الذهني :

وهو أصل الأصول كما قال ابن الجوزي في صيد الخاطر: "فإنّ التركيز أصلٌ في الحفظ ، فإن لم يجد نشاطاً وحصل له فتور وشروء ذهنيّ فليدع الحفظ، وليرفقه عن نفسه حتى يعود إليه النشاط".

ثانياً : الوسائل المساعدة على عملية الحفظ:

1 . اختيار الوقت:

اختيار أنسب الأوقات للحفظ والمراجعة بحيث يكون فيه الإنسان: صافي الذهن، مرتاح البال، غير مجهد عقلياً.

أجود أوقات الحفظ : قال الخطيب البغداديّ: "أجود أوقات الحفظ الأسحار، ثم وسط النهار، ثم الغداة، وحفظ الليل أفضل من حفظ النهار".

ينبغي توزيع الوقت بين الحفظ والمراجعة: أوقات للحفظ، وأخرى للمراجعة على أن لا تكون متتابعة؛ لأن إجهاد النفس بكثرة المذاكرة مدعاة لفتور الهمة والهجر.

2 . تحديد الدّرس:

تحديد مقدار معين يستطيع حفظه في اليوم عن طريق: الآيات أو الصفحات أو الموضوع... إلخ. تقليل كمية المحفوظ مع جودته خير من التّكثير، قال ابن الجوزي في صيد الخاطر: "ومن الغلط حفظ الكثير أو الحفظ من فتور، فإن القلب جارحة من الجوارح. وكما أن من الناس من يحمل المئة رطل، ومنهم من يعجز عن عشرين رطلاً، فكذلك القلوب، فليأخذ الإنسان على قدر قوته ودونها، فإنه إذا استنفذها في وقت ضاعت منه أوقات، كما أن الشّره يأكل فضل لقيمات تكون سبباً إلى منع أكالات..." اه .

3 . الالتزام برسم مصحف واحد:

لتثبيت صورة المحفوظ؛ لأن المخالفة بين عدة مصاحف تسبب تشتت الحفظ بسبب تغيير مواضع الآيات.

اختيار مصحف الحفاظ: الصحيفة 17 سطراً أو 15 سطراً.

4. تصحيح القراءة على شيخ واحد:

التجربة أثبتت أن الحفظ لا يتم إلا عن طريق طالب يتلو ويحفظ، وشيخ يستمع ويصحح. إن تعذر وجود شيخ متقن فليبحث الطالب عن حافظ سابق أكبر منه سناً، فإن تعذر فعن طريق التسجيلات المسموعة والمرئية.

5. التسميع الذاتي والتسميع على الغير:

التسميع الذاتي يوضح مدى التقدم في الحفظ، ويبعث على النشاط والاستمرار. التسميع على الغير يبصر الحافظ بخطئه الحفظي. قال ابن المنادي في متشابه القرآن: "وللدرس آلات، إحداهن: أن يقرأ الإنسان على نفسه ظاهراً، وليس ذلك بمغني حتى يقرأ على من هو أحفظ منه؛ لأن الذي يقرأ هو أنفذ في التبصرة بخطأ المقتري من المقتري بخطأ نفسه" اهـ .

وكان أبو عبد الرحمن السلمي يمسك على علي رضي الله تعالى عنه في المصحف. وعن الصحابي الجليل فضالة بن عبيد أنه قال لغلامه: "أمسك علي، ولا ترد علي حرفاً إلا أن تكون آية تامة". شروط الغير (المسموع): أن يكون الشيخ نفسه، أو زميلاً في حلقته لكن ينبغي أن يكون أقرأ منه، وملائماً له في السن، وأن يكون حاضر الذهن يقظاً أميناً، لا يغفل حالة الاستماع، ولو استمع له مع النظر في المصحف فهو أضبط.

6. الاستماع من الغير:

هو جزء مكمل لعملية التسميع، ويكونان معاً طريقة المدارس. وسيلة مهمة لتصحيح القراءة وتثبيت الحفظ. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يلقاه جبريل عليه السلام في كل ليلة من ليالي رمضان يدارسه القرآن.

الاستماع إلى تسجيلات المتقنين من القراء يساعد على ضبط القراءة وتصحيح المحفوظ.

7. قراءة تفسير الآيات وفهم معانيها العامة: يساعد على تسهيل الحفظ وترسيخه في الذهن.

8. الحوافز والمرغبات:

التشجيع ورصد الجوائز من الوسائل المهمة في التحفيز والترغيب. تأثير إقامة المسابقات ورصد الجوائز على التنافس في حفظ القرآن.

9. الحفظ عن طريق الكتابة:

وسيلة ناجحة للحفظ مستعملة في المغرب وموريتانيا.

تساعد على التعرف على رسم القرآن وحفظ أشكال الحروف.

10 . اغتنام المناسبات التعبدية:

الصلوات الخمس .

شهر رمضان .

11 . اختيار الأمكنة المناسبة:

الأمكنة لها تأثير في سرعة الحفظ كما للأزمنة .

شرط المكان:

1 . هادئاً بعيداً عن الضوضاء .

2 . أن لا يكون بقره ما يلهيه عن جمع الفكر، كالحفظ بالقرب من سوق الخضار أو موقف

الحافلات .

ثالثاً : وسائل تثبيت الحفظ وإحكام المحفوظ:

1 . التكرار والتعاهد المنتظم:

هي الوسيلة المثلى لتثبيت أي محفوظ والتفريط فيها يعرض المحفوظ للزوال السريع، والنسيان المؤكّد .

أمر مطلوب نصّت عليه الأحاديث، قال صلى الله عليه وسلم: "تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده، لهو أشدّ تفصيّاً . أي تفلتاً . من الإبل في عُقلها " . وقال عليه الصلاة والسلام: "إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقّلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت"⁶، ومن أمثلته الدنيوية عمل أمين المستودع الذي يحتاج إلى جرد مستودعه كل فترة .

تكون المراجعة بصوت طبيعي لا هو عال يجهد فيه نفسه ولا خافت بحيث لا يسمعه .

السنوات الأولى من الحفظ أكثر حاجة للمدرسة ومضاعفة الجهد، حتى إذا تمكن الحفظ أمكنه الاكتفاء بالمدرسة البسيطة مع الدوام، من أمثلة ذلك: عاصم بن أبي النّجود ومرضه سنة ثم قيامه من مرضه ولم يخطئ حرفاً . ومن ذلك ما طلبه الشيخ أبو الحسن الكردي من مراجعة 10 أجزاء كورد يومي في بداية الحفظ .

كان أبو إسحاق الشيرازي يعيد الدرس مائة مرة، وقال الحسن بن أبي بكر النيسابوري الفقيه: لا يحصل الحفظ حتى يعاد خمسين مرة .

⁶ (متفق عليه .

فقيه أعاد الدرس في بيته مراراً كثيرة، فقالت له عجوز في بيته: قد والله حفظته أنا، فقال: أعيديه، فأعادته، فلما كان بعد أيام، قال: يا عجوز، أعيدي ذلك الدرس، فقالت: ما أحفظه، فقال: أنا أكرّر عدّ الحفظ لثلاثي ما أصابك".

قال أبو هلال العسكري في الحث على طلب العلم: "والحفظ لا يكون إلا مع شدة العناية وكثرة الدرس وطول المذاكرة، والمذاكرة حياة العلم، وإذا لم يكن درسٌ لم يكن حفظٌ، وإذا لم تكن مذاكرة قلّت منفعة الدرس، ومن عوّل على الكتاب وأخلّ بالدرس والمذاكرة ضاعت ثمرة سعيه واجتهاده في طلب العلم".

2. عدم تجاوز المقدار المحدّد إلا بعد إجادة المحفوظ.

3. القراءة بالنظر من المصحف:

أمر منصوص عليه وحرص عليه الصحابة رضي الله عنهم لتلقيح الذهن، والازدياد في قوة الحفظ، وإذهاب الرّيب في المواضع التي يشكّ فيها القارئ مع طلب الثواب؛ لأن النظر في المصحف عبادة. وقد أثبت ابن المنادي ذلك في كتابه متشابه القرآن بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "أديموا النظر في المصحف". قال: وعن حيشمة بن عبد الرحمن قال: دخلتُ على عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو يقرأ في المصحف، فقلت: ما هذا؟ فقال: جزئي الذي أقوم به الليلة. وعن علقمة النخعي أن ابن مسعود قال له: أمسك عليّ سورة البقرة، فلما قرأها قال لي: هل تركتُ منها شيئاً؟ قلت: حرفاً واحداً، قال: كذا وكذا؟ قلت: نعم. وعن فضالة بن عبيد أنه قال لغلامه: "أمسك عليّ، ولا تردّ عليّ حرفاً إلا أن تكون آية تامة". قال ابن المنادي معلّقاً على هذه الأخبار: "ولعلّ بعض من يبلغه كتابنا هذا يستصغر أمر النظر في المصحف، من جهة التحفظ والتذكر لقلة حاجة الماهرين إليه، ويدّعي أن ابن مسعود وابن العاص وفضالة بن عبيد إنما طلبوا بنظرهم فيه الفضل؛ إذ من قرأ فيه كان له أجر عينيّه ولسانه وقلبه وأذنيه. فإذا قال ذلك، قيل له: ... ليس وجه هذه الأخبار المرسومة ها هنا ما ظننت، ألا ترى أن ابن مسعود يقول لعلقمة: هل تركتُ شيئاً؟ وأن فضالة ينهى غلامه الناظر له في المصحف أن يردّ عليه ما دون الآية التامة، وفي ذلك دلالة على إرادتهم بما حُكي عنهم إنما هو تلقيح الذهن، والازدياد في قوة الحفظ، وإذهاب الرّيب فيما يشك به القارئ، ثم يدخل طلبهم الثواب أيضاً مع ذلك...". اهـ .

4. ربط الآيات التي يخاف عليها من النسيان بمألوف يعهده:

قال ابن المنادي في متشابه القرآن: "على المعلم أن يأمر المتعلم إذا كان معتاداً لنسيان كلمة من القرآن أو من الحكمة، لها نظير من أسماء ما يتعاطاها من منقلبه، بأن يذكرها بذلك الاسم المعهود عنده، ليألف هذه الكلمة الطارفة الحديثة " اهـ .

و (يزيدهم) يا شاطر في النور وفاطر.

5. الترفيه وأخذ الراحة:

إجهاد النفس بكثرة المذاكرة ينشأ عنه الفتور، وهو يسبب هجر التعاهد والمراجعة فيؤدي إلى النسيان.

أخذ إجازة يوم أو يومين في الأسبوع الواحد ، ولتكن متفرقة.

6. معرفة الآيات المتشابهة:

من ذلك قصص الأنبياء.

مراجعة كتب المتشابهات.

7. ترك المعاصي والآثام:

سئل مالك بن أنس: هل يصلح لهذا الحفظ شيء؟ قال : إن كان يصلح له شيء فترك المعاصي.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم قد علمه بالذنب يعملهُ".

كتب رجل إلى أخ له: "إنك قد أوتيت علماً، فلا تُطفئ نور علمك بظلمة الذنوب، فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم".

قال علي بن خشرم: رأيت وكيعاً وما رأيت بيده كتاباً قطّ، إنما هو يحفظ، فسألته عن دواء

الحفظ، فقال: ترك المعاصي، ما جرّبت مثله للحفظ.

سئل ابن عيينة: هل يُسلب العبد العلم بالذنب يصيبه؟ فقال: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿قَالُوا

نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمَعَنَّ فُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة:

١٣].

8. قراءة الأدعية والأوراد المساعدة في الحفظ .

طرق الحفظ:

بإحدى طريقتين: كلية وجزئية.

الطريقة الكلية: أن يقرأ النص المراد حفظه كاملاً، ويردّد مرات من غير تجزئته مهما طال حتى يحفظه، وهذه قلّ من يستعملها.

الطريقة الجزئية: وهي المتبعة لدى أغلب المتحفظين، وخطواتها كالتالي:
تحديد المقدار المراد حفظه، بحسب عدد الآيات: خمسة أو سبعة أو عشرة.. إلخ، أو بالصفحة: ربعها أو نصفها أو كلّها، أو بموضوع الآيات، ونحو ذلك.
قراءة المقدار المحدد على الشيخ لتصحيح التلاوة وضبطها.

البدء بحفظ كلّ آية على حدة، وتقسم الآية الطويلة إلى مقاطع، ويستحسن أن يقرأ المقطع المحدّد بالنظر في المصحف مرة، ثم يعيده من حفظه مرة أخرى وهكذا، فإذا أتقن الآية الأولى بدأ بالثانية بالطريقة نفسها ثم يعيد الآيتين معاً وهكذا إلى أن يكتمل القطع المحدّد.

ينبغي أن يكون الترداد بصوت مرتفع قليلاً؛ لأن رفع الصوت يساعد على ازدياد النشاط، ويترد النوم والكسل، ويوقظ قلب القارئ ويجمع همه، ويعين على التركيز فيما يقرأ.
إذا تم حفظ عدة مقادير كأن تكون حزباً أو جزءاً أو السورة كلّها، فإنه ينبغي أن يتعاهدها بالمراجعة الدائمة حتى يترسخ الحفظ فلا يزول.

مقويّات الحفظ:

من المطعومات: اللّبان، والزبيب، والعسل، وماء الورد، ولحم الضأن، ولحم الدجاج، واللّوز، والخردل.

من الأعمال: الحجامة على الرّيق، تقليل الغذاء، صلاة الليل، قراءة القرآن نظراً، السواك، الحدّ والهمة العالية، وترك المعاصي، وقلة الغمّ، ورفع الصوت.

ما بعد الحفظ: الإجازة القرآنية:

ضوابط الإجازة:

حفظ القرآن الكريم كاملاً حفظاً متقناً.

حفظ منظومة الجزرية أو ما يعادلها من متون التجويد المعتبرة مع فهم شرحها.

التدرب على التلاوة الصحيحة وفق الضوابط والتعريفات التجويدية حتى يصير التجويد ملكة عند الطالب.

سرد القرآن الكريم كاملاً على شيخٍ واحد، مع مراعاة كلّ ما سبق .

القسم الثاني:

قراءة القرآن بالتدبر والتفكير

عناية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتعليم القرآن الكريم ونشره وكذلك صحابته :

روى الإمام أحمد، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنهم كانوا يفترون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه العشر من العلم والعمل . قالوا : فعلمنا العلم والعمل.

كانت صُفَّة المسجد النبوي مدرسة للقراءة، يأوي إليها فقراء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ممن لا أهل لهم يتدارسون القرآن ويتعلمونه، ثم يذهبون في نواحي البلاد فيعلمونه الناس. كان جماعة من الصحابة نصبوا أنفسهم للإقراء في المدينة بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حتى امتلأت المدينة بالقراء.

كان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه ثم ابن عباس رضي الله عنهما عناية بتعليم القرآن، ونشر علومه لأناس كثيرين لا يحصيهم العدّ في مكة المكرمة. كان ابن مسعود رضي الله عنه يجلس في مسجد الكوفة فيعلم الناس القراءة، حتى بلغ عدد الثقات الذين أخذوا عنه القراءة مباشرة أو بواسطة ما يقرب من نحو أربعة آلاف قارئ. أبو موسى الأشعري رضي الله عنه نصب نفسه لتعليم القرآن في مسجد البصرة، قال أبو رجاء: فكان يُقعدنا حلقاً حلقاً يقرئنا القرآن. كان أبو الدرداء رضي الله عنه يعلم القرآن كلَّ يوم في جامع دمشق من طلوع الشمس إلى الظهر، ويقسم المتعلمين عشرة عشرة، ويعين لكل عشرة عريفاً يعلمهم القرآن، وهو يشرف على الجميع، ويرجعون إليه إذا غلطوا في شيء. كما ورد ذلك في تاريخ ابن عساکر.

كان الإمام المقرئ ابن عامر في دمشق له أربعمئة عريف، يقومون بتعليم القرآن تحت إشرافه. وكان سلف القراء أصحاب هم عالية، فمن القراء ذوي الهمة أبو القاسم الهذلي، المقرئ الجوال، أحد من طوّف الدنيا في طلب القراءات، لقي ثلاث مائة وخمسة وستين شيخاً، وقرأ على مائة واثنين وعشرين شيخاً. قال عن تلقيه: "فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاث مائة وخمسة وستون شيخاً من آخر المغرب إلى باب فرغانة يميناً وشمالاً وجبالاً وبحراً، ولو علمتُ أحداً يقدم عليّ في هذه الطريقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته" اه .

فضل صاحب القرآن:

قال مطرف: آية القراء: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾. [فاطر: ٢٩]

روى الطبراني بإسناد لا بأس به عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر، ولا ينالهم الحساب، وهم على كُتُب من المسك حتى يُفرغ من حساب الخلائق: رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله تعالى، وأمّ قوماً وهم به راضون، وداع. أي: مؤذن. يدعو إلى الصلوات ابتغاء وجه الله، وعبداً أحسن فيما بينه وبين ربّه، وفيما بينه وبين مواليه"⁷.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى منكم بالليل فليجهر بقراءته، فإن الملائكة تصلي بصلاته، فليسمع بقراءته، فإن مؤمني الجنّ الذين يكونون في الهواء، وجيرانه معه في مسكنه يصلون بصلاته ويستمعون قراءته، وإنه ليطرد بجهر قراءته عن داره وعن الدور التي حوله فساق الجنّ ومردة الشياطين، وإن البيت الذي يقرأ فيه القرآن عليه خيمة من نور يهتدي بها أهل السماء كما تقتدون بالكوكب الدرّي في لجج البحار وفي الأرض القفر، فإذا مات صاحب القرآن رُفعت تلك الخيمة، وتنتظر الملائكة من السماء فلا يرون ذلك النور فتنعاه الملائكة من سماء إلى سماء فتصلي الملائكة على روحه، ثم تستقبل الملائكة الحافظين اللذين كانا معه فيعزيانها، ثم تستغفر له الملائكة إلى يوم يبعث.

وما من رجل تعلّم كتاب الله تعالى، ثم صلى ساعة من الليل إلا أوصت به تلك الليلة الماضية الليلة المستأنفة أن تنبّه تلك الساعة، وأن تكون عليه خفيفة، فإذا مات رُفعت تلك الخيمة، وكان أهله في جهازه، ويجيء القرآن فيكون واقفاً عند رأسه، يعني ثواب القرآن حتى يدرج في أكفانه، فيكون على صدره دون الكفن، فإذا وُضع في قبره وسوي عليه، وافترق عنه أصحابه أتاه منكر ونكير فيجلسانه في قبره، فيجيء القرآن حتى يكون بينه وبينهما فيقولان: إليك، حتى نسأله، فيقول: كلا وربّ الكعبة، إنه صاحبي وخليلي، ولست أخذله على حال، فإن كنتما أمرتما بشيء فامضيا لما أمرتما به، فإني لست أفارقه حتى أدخله الجنة إن شاء الله، ثم ينظر القرآن إلى صاحبه، فيقول: اسكن وأبشر، فإنك ستجدني من الجيران جاز صدق، ومن الأخلاء خليل صدق، ومن الأصحاب صاحب صدق، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا الذي كنت تجهر بي وتخفي بي، وكنت تجني فأنا حبيبي، ومن أحببته أحبه الله، ليس عليك بعد منكر ونكير هم ولا غم ولا فزع، فيسأله منكر ونكير

⁷ أخرجه الترمذی (355/4 ، رقم 1986) والطبرانی فی الأوسط (113/9 ، رقم 9280)

ويصعدان ويبقى هو، فيقول له: لأفرشك فراشاً لينا، ولأدثرك دثاراً حسناً جميلاً جزاءً بما أسهرت ليلك وأظلمات نهارك، فيصعد إلى السماء أسرع من ردّ الطرف فيسأل الله له فيعطيه ذلك، فينزل به ألف ملك من مقربي السماء السادسة ويحييه، فيقول: هل استوحشت؟ ما زلت منذ فارقك أن كلمت الله تعالى حتى أخرجت لك منه فراشاً ودثاراً ومصباحاً، وقد جئتك به فقم حتى تفرشك الملائكة. قال: فتنهضه الملائكة إنحاضاً لطيفاً، ثم يفسح له في قبره مسيرة أربع مائة عام، ثم يوضع له فراش بطائنه من حرير أخضر حشوه المسك الأذفر، وتوضع له مرافق عند رجليه ورأسه من السندس والإستبرق، ويسرج له سراجان من نور عند رأسه يزهران إلى يوم القيامة، ثم تُضجعه الملائكة على جنبه الأيمن مستقبل القبلة، ثم تبتهج الملائكة في وجهه، ثم تزوده من ياسمين الجنة، وتصعد عنه، ويبقى هو والقرآن، فيأخذ الياسين ويضعه عند رأسه، فإن تعلّم أحد من ولده القرآن بشره بذلك، وإن كان عقبه عقب سوء دعا لهم بالفلاح⁸.

الرؤيا العظيمة للإمام حمزة بن حبيب الزيات.
الرؤيا العظيمة التي رآها فضيلة الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي بحق شيخ القراء الشيخ حسين خطاب رحمه الله تعالى.
فضل البيت الذي يقرأ فيه القرآن:
روى الحكيم الترمذي عن أبي هريرة وأبي الدرداء رضي الله عنهما مرفوعاً: "إن بيوتات المؤمنين لمصايح إلى العرش، يعرفها مقرّبو السموات السبع، يقولون: هذا النور من بيوتات المؤمنين التي يتلى فيها القرآن"⁹.

القرآن هو رياض الجنة، قال بعض العارفين: في القرآن ميادين وبساتين، ومقاصير وعرائس، وديابيح ورياض، فالميمات - أي: السور المفتحة ب: الم - ميادين القرآن، والراءات بساتين القرآن، والحاءات مقاصير القرآن، والمسبّحات عرائس القرآن، والحواميم ديابيح القرآن، والمفصّل رياضه، فإذا دخل المرید في الميادين، وقطف من البساتين، ودخل المقاصير، وشهد العرائس، ولبس الديابيح، وتنزّه في الرّياض، وسكن غرفات المقامات: اقتطعه عما سواه، وأوقفه ما يراه، وشغله المشاهد له عما عداه.

⁸ (لحات الأنوار ونفحات الأزهار وربّي الظمان لمعرفة ما ورد من الآثار في ثواب قارئ القرآن ل محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الغافقي (ت 619هـ) 1/ 193

⁹ (الحكيم عن أبي هريرة وأبي الدرداء معا). كنز العمال: ج 0/ص 2481

المدارسة والاجتماع على كتاب الله تعالى:

قال صلى الله عليه وسلم: "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى: يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم: إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحقتهم الملائكة، وذكرهم الله فيما عنده"¹⁰.

سئل ابن عباس رضي الله عنهما: أيّ العمل أفضل؟ قال: ذكر الله تعالى، وما جلس قوم في بيت من بيوت الله فيما بينهم، ويتدارسونه: إلا أظلتهم الملائكة بأجنحتها، وكانوا أضياف الله ما داموا على ذلك، حتى يخوضوا في حديث غيره".

حال السلف والخلف مع القرآن:

ذكر صاحب لمحات الأنوار ونفحات الأزهار وريّ الظمان لمعرفة ما ورد من الآثار في ثواب قارئ القرآن لمحمد بن عبد الواحد الغافقي 3/ 1219 قال: "وعن عاصم بن أبي النجود، عن زرّ بن حُبَيْش قال: قرأت القرآن على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. في قبلة مسجد الكوفة. قال: حتى إذا بلغت الحواميم، قال: زرّ بن حُبَيْش، قد بلغت عرائس القرآن. حتى إذا بلغت رأس اثنتين وعشرين آية من ﴿حم عسق﴾ [الشورى: ١ - ٢] ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢] ، بكى حتى سالت دموعه على لحيته، ثم حوّل وجهه إلى القبلة، ومدّ يديه، وقال: يا زرّ أؤمن على دعائي فقال: اللهم إني أسألك إخبارات المخبتين، وإخلاص الموقنين، ومرافقة الأبرار، واستحقاق حقيقة الإيمان، والغنيمة من كلّ برّ، والسلامة من كلّ إثم، ووجوب رحمتك، وعزائم مغفرتك، والفوز بالجنة، والإخلاص من النار. يا زرّ: إذا ختمت القرآن فادع بهذه الدعوات، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم علّمها " اهـ.

حال الشيخ أحمد الحبال الرفاعي مع القرآن، حدّثني أن ورده في اليوم خمسة أجزاء من القرآن، وكان ربما ينشغل أثناء اليوم فيأتي في الليل وقد بقي له جزء أو أكثر، فيخاطب نفسه قائلاً لها: يا نفس أعلم أنك تريد أن تنامي وتستريح، لكن هيهات! عندك وظيفة، أكملها وظيفتك ثم استريح كما شئت.

¹⁰ (أخرجه : مسلم 71/8) (2699)

قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في تذكرة الحفاظ في ترجمة الإمام (منصور بن المعتمر السلميّ الكوفي) المتوفى سنة 132 رحمه الله تعالى: قال زائدة بن قدامة - تلميذ المنصور - : صام منصور أربعين سنة، وقام ليلاً، وكان يبكي الليل كله، فإذا أصبح كحل عينيه، وبرق شفتيه، ودهن رأسه، فتقول له أمه: أقتلت قتيلاً؟ . أي لكثرة ما ترى من بكائه ووجهه وعبادته لله تعالى . فيقول: أنا أعلم بما صنعت نفسي! وكان قد عمش من البكاء.

قالت فتاة: يا أبت: الأسطوانة التي كانت في دار منصور ما فعلت؟ قال: يا بنية ذاك منصور كان يصلي الليل، وقد مات!

قال الثوري: لو رأيت منصوراً يصلي، قلت: يموت الساعة! انتهى .
 أين عامٌ بربه؟ أين خائفٌ من ذنبه؟ أين مسرورٌ بقربه؟ أين مشغولٌ بذكره؟ أين مُشفقٌ من بعده؟
 كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العيون، قام فسمعت له دويًا كدوي النحل.
 وذكر زيد بن وهب قال: رأيت بعيني عبد الله أثرتين أسودين من البكاء.
 هذا الصحابي الجليل الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رضيت لامتي ما رضي لها ابن أم عبد " ¹¹

وقال: " من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد " ¹²
 يقول عن نفسه تواضعاً: لو تعلمون ذنوبي، ما وطئ عقي اثنان، ولحشيتم التراب على رأسي، ولوددت أن الله غفر لي ذنبا من ذنوبي، وأني دعيت عبد الله بن روثة.

جاء في سيرة التابعي الجليل (الربيع بن خثيم) تلميذ الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنه كان إذا دخل على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول له: والله لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحببك، وما رأيتك إلا ذكرتُ المحبتين. وفي لفظ آخر: كان إذا رآه قرأ قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤] ، أي: الخاشعين. وكان الربيع كذلك .

وقال الحافظ الذهبي في ترجمته: انطلق الربيع بن خثيم وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه إلى شاطئ الفرات، فمرا بالحدادين، فلما رأى الربيع تلك النيران . نيران الحدادين وشهيقها وزفيرها . قرأ قوله تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٢]

¹¹ أخرجه الحاكم (359/3 ، رقم 5387) وقال : صحيح على شرط الشيخين .

¹² المعجم الكبير للطبراني 8417

وخرّ مغشياً عليه، وحانت صلاة الظهر، فناداه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: يا ربيع فلم يُجبه، فذهب عبد الله فصلى بالناس الظهر، ثم رجع إليه فناده وقال: يا ربيع فلم يجبه، فانطلق عبد الله فصلى بالناس العصر، ثم رجع إليه فقال: يا ربيع يا ربيع فلم يجبه! ثم انطلق عبد الله فصلى بالناس المغرب، ثم رجع فقال: يا ربيع يا ربيع فلم يجبه! فما صحا من غشيته حتى ضربه بردُ السحر . انتهى .

هنا على مقربة منا.. في سوق مدحت باشا يرقد القارئ الكبير سيدنا هشام بن عمار المتوفى سنة 245 هـ، الناس يطلقون على هذا المسجد .. مسجد سيدي هشام في سوق الصوف.. هذا القارئ الذي بقيت قراءته إلى اليوم كان من شأنه أنه لا يرفع نظره إلى السماء حياءً من الله عزّ وجلّ. عن محمد بن واسع قال: "لقد أدركت رجلاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بلّ ما تحت خدّه من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجلاً يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خدّه ولا يشعر به الذي إلى جانبه"¹³، وعنه قال: "إن كان الرجل ليكي عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم به"¹⁴.

وكان سلف القراء يدعون لإخوانهم في ظهر العيب:

جاء في ترجمة أبي حمدون الدهليّ البغداديّ اللؤلؤيّ المقرئ العبد الصالح الذي قرأ على اليزيديّ والكسائيّ وسليم وغيرهم أنه كان على قدم عظيمة من الثقل والقناعة والعبادة، وأنه كانت له صحيفة فيها أسماء ثلاثمائة نفسٍ من أصحابه يدعو لهم في كلّ ليلة، فنام عنهم ليلة، فقليل له في النوم: لم تُسرج مصابيحك، قال: فقعد ودعا لهم (معرفة القراء الكبار للذهبي 212 / 1) .

عرض المؤمن أخلاقه على القرآن:

ذكر الحافظ محمد بن نصر المروزي في جزء: (قيام الليل) عن الأحنف بن قيس أنه كان يوماً جالساً، فعرضت له هذه الآية: **﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** [الأنبياء: ١٠] فانتبه، فقال: عليّ بالمصحف لألمس ذكري اليوم، حتى أعلم من أنا، ومن أشبهه، يعني: لما علم أن القرآن قد ذكر جميع صفات البشر وبيّن صفاتهم ومراتبهم؛ أراد أن يبحث عن نفسه في أي الطبقات هو؟ فنشر المصحف، فمرّ بقوم: **﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾** [الذاريات: ١٧ - ١٩] .

¹³ حلية الأولياء 2 / 347 .

¹⁴ حلية الأولياء 2 / 347 .

ومرّ بقوم: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]

ومرّ بقوم: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

ومرّ بقوم: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ومرّ بقوم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

ومرّ بقوم: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٧ - ٣٨].

فوقف الأحنف ثم قال: اللهم لست أعرف نفسي ههنا. يعني: لم يجد هذه الصفات في نفسه حتى نفسه في هذه الطبقة. ثم أخذ الأحنف السبيل الآخر فمرّ في المصحف بقوم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتَنَا لَشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصفافات: 35-36]

ومرّ بقوم قال الله تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

ومرّ بقوم يقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٧] فوقف الأحنف ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك من هؤلاء. فما زال يقلّب ورق المصحف ويلتمس في أي الطبقات، حتى وقع على هذه الآية: ﴿وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢].

فقال الأحنف: أنا من هؤلاء. فانظر أيها المسلم موضع نفسك في كتاب الله تعالى وفي أي الطبقات أنت، واحذر أن تكون ممن تنطبق عليهم صفات المنافقين أو الفاسقين عيادا بالله العظيم.

هؤلاء رجال قرؤوا القرآن بالتدبر والتفكير، قال أحد الصالحين: "لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير؛ فإنه جامعٌ لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر؛ لاشتغلوا بها عن كلِّ ما سواها، فإذا قرأه بتفكير حتى مرَّ بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كرَّرها ولو مئة مرّة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكير وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن، فقراءة القرآن بالتفكير هي أصل صلاح القلب" 15 .

المصادر والمراجع :

- 1 . (تلاوة القرآن المجيد: فضائلها . آدابها . خصائصها) للشيخ عبد الله سراج الدين . مكتبة الفلاح، حلب، ط4، 1418 هـ - 1997 م.
- 2 . إعانة الحفاظ للآيات المتشابهة الألفاظ، محمد طلحة بلال منيار، دار نور المكتبات للنشر والتوزيع، ط1، 1424 هـ - 2003 م.

خادم القرآن الكريم

د . عادل إبراهيم أبو شعر

¹⁵ مفتاح دار السعادة 1/ 187 لابن القيم الجوزية .